علاقة الوطنيين المغاربة بتركيا وألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى

ط.د/عبد الكريم عياشي/ جامعة الوادي/ الجزائر

أ.د/محمد السعيد عقيب/ جامعة الوادي/ الجزائر

ayachi-abdelkarim@univ-eloued.dz

الملخص:

يسلط المقال الضوء على العلاقة التي ربطت بين الوطنيين المغاربة، وكل من تركيا وألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى ، إذ أن تواجد العديد من هؤلاء الرجال في إسطنبول وبرلين خلال و قبيل وأثناء الحرب يثير الانتباه وحتى الريبة، ولذلك حاولنا تفسير ذلك، حيث توفرت الكثير من الدعائم لتمتين هذه العلاقة سواء تلك التي وصفناها بالدينية، أو المتعلقة بالخلفيات التاريخية التي تربط الطرفين، أو المصالح السياسية التي تقاطعت بينها، ودعمنا ذلك بنماذج من الوطنيين الذين برزوا بشكل لافت في هذه المرحلة ، سواء أولئك الذين إعتمدوا وسائل سياسية في هذه العلاقة أو أولئك الذين إستخدموا القوة المسلحة، وقد توصلنا من خلال دراسة كل ذلك إلى مجموعة من الاستنتاجات تضمنتها خاتمة المقال.

abstract:

Abstract : This article highlights the relationship between the Maghreb patriots, Turkey and Germany, during World War I. As the presence of many of these men in Istanbul and Berlin before, during and after the war drew attention and suspicion. So, we tried to explain that since we have many signs to value the religious relation we have already described or those which are related to the historical backgrounds which connect the

two sides or the political interests. We also supported that with examples of the patriots who emerged remarkably during this stage, whether those who have adopted a political means in this relationship or those who used armed force. By examining all of this, we have reached a set of findings in the conclusion of our article.

مقدمة:

تسعى الدول أثناء خوضها للحروب لإستغلال كل ما يمكن أن يساهم في تحقيق أهدافها المنشودة ، ولذلك فهي تأسس لشبكة من العلاقات و الاتصالات مع مختلف الأطراف وقد تبدو هذه العلاقات والاتصالات أحيانا غريبة، في حين أن هناك أطراف ذات علاقة غير مباشرة بالحرب تحاول ـ رغم ضعفها ـ إستغلال ظروف الحرب لتحقيق بعض من أهدافها، وهذا ما ينطبق بالضبط على العلاقة التي ربطت بين الوطنيين في المغرب العربي وخاصة تونس والجزائر، مع تركيا وألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى، فقد كانت الأخيرتين تسعيا إلى إستغلال الوطنيين المغاربيين لتحقيق إختراق لعدوهما المشترك وهي فرنسا من الداخل مما يساهم في إضعاف تركيزها وتشتيت جهودها، في حين سعى الوطنيين المغاربة من خلال ربط هذه العلاقة إلى تحقيق الأماني الوطنية ، والتي تراوحت بين المطالبة بالإصلاحات العميقة وبين المطالبة بالاستقلال.

وقد حاولنا من خلال هذا المقال تتبع خيوط هذه العلاقة، مركزين على الجزائريين والتونسيين باعتبارهما الأكثر بروزا، ونشاطا لاعتبارات عديدة، أهمها مرور ما بين ثلاث وثلاثين سنة و أربع وثمانين سنة من الاحتلال، وكذا بروز الكثير من الزعماء الوطنيين طيلة هاته الفترة، والكفاح المتواصل للإستعمار بكل الطرق خلال كل هذه المرحلة الطويلة، بخلاف المغرب الذي لم يمر على إعلان الحماية عليه سوى سنتين، ناهيك عن كونه لم يكن تحت نفوذ الخلافة العثمانية، وسلطنا الضوء أكثر على بعض الأسماء التي برزت بقوة خلال الحرب العالمية الأولى، كنموذج لهذه العلاقة وهذه الأسماء هي الأخوين باش حانبه، و الشيخ صالح الشريف التونسي، ورابح بوكابوية، والأمير عبد المالك، و يلاحظ أن هذه الأسماء إختلفت في وسائل كفاحها بين النضال السياسي ، والعمل المسلح كما سوف نبين لاحقا، ويبدو أن هذه المجموعة قد وصلت إلى مرحلة من النضج في

النضال جعلها وبوسائلها المتواضعة تحاول إستغلال تضارب المصالح بين الدول المتصارعة لتحقيق أهداف وطنية نبيلة. فما هي دعائم العلاقة بين الطرفين؟ وبماذا تميزت النماذج المختارة للدراسة؟

أولا/ دعائم التعاون بين الوطنيين المغاربيين وتركيا وألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى:

هناك العديد من الدعائم التي ساهمت في وجود العلاقة بين الوطنيين في المغرب العربي، وألمانيا والدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى ،خاصة هذه الأخيرة لإعتبارات سنناقشها لاحقا ، أما ألمانيا فقد كانت تسعى لاستثمار هذه العلاقة لخدمة مصالحها السياسية و العسكرية ، سواء ما تعلق بتلك المرتبطة بالحرب ، او ما تعلق بتحقيق أطماع التوسع وبسط النفوذ على المنطقة، التي طالما نافست عليها الدول الأوروبية الكبرى كفرنسا وبريطانيا منذ قيام الإمبراطورية الألمانية الموحدة على يد أتوفون بسمارك عام 1870، ويمكن مناقشة هذه الدعائم كما يلي:

أ/ الميدان الديني:

لاشك أن العاطفة الدينية التي تجمع بين الدولة العثمانية ومنطقة المغرب العربي ، سيكون لها دور هام في إرساء حبال الود والتعاون بين الوطنيين المغاربة والدولة العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية ، هذه الأخيرة التي كان المسلمون يلتفون حولها ويعتبرونها رمز وحدتهم وقوتهم وعزهم وحريتهم[1]، وقد ظل المغاربة و المسلمين عامة رغم ضعف الخلافة العثمانية يتعلقون بها باعتبارها كانت بهيبتها وسطوتها تزلزل عروش أوروبا وتحمل لواء الاسلام بصدق وأمانة ، وتذود عن المقدسات التي توحدت دون حدود أو سدود طوال خمسمائة عام[2].

إن هذه العاطفة كانت محركا أساسيا للحركات الوطنية وظل كثير من رجالاتها في المغرب العربي يشعرون بهذا الانتماء ،فهذا محمد البشير الإبراهيمي يصرخ بهذه العاطفة مخاطبا الشعوب العربية عند إندلاع الثورة التحررية الجزائرية قائلا: " يا أبناء العمومة :إن هذه الشعوب الثائرة في تونس والجزائر و مراكش هم إخوانكم ، وأجزاء من جسمكم ، ونصف عددكم، والقطع الخصيبة من وطنكم، والسهام الرابحة في رأس مالكم... فإذا ثاروا اليوم فإنما يثورون لشرف هو شرفكم، وكرامة هي كرامتكم، فالآن وجب حق الأخ على أخيه من إسعاف يشد العزيمة ونجدة تقوي الأمل.[3] إن الرابطة الدينية ممثلة في الخلافة الاسلامية العثمانية لم تنقطع أبدا بين المغاربة وخاصة في تونس والجزائر وليبيا وبين الدولة العثمانية وظل الأمل معلقا دائما على هذه الأخيرة لفعل شيء ما لإنقاذ

المنطقة من الاستعمار الأوروبي ، فقد كان الخليفة عبد الحميد الثاني محبوبا في الجزائر ومنتظرا من الجماهير " كرجل الساعة" ، ولاشك أن عواطف الجامعة الاسلامية التي وجدت في الجزائر منذ بداية ظهورها وسياسة الفرنسيين التعسفية ، والدعاية في الشرق الأدنى ،قد زاد من سمعة عبد الحميد الثاني في الجزائر كمنقذ منتظر، ففي سنة 1906 زارت باخرة عثمانية ميناء عاصمة الجزائر وقد صعد بعض الجزائريين على سطحها وطلبوا سرعة قدوم السلطان لإنقاذ الجزائر.[4] واستمرت هذه العاطفة إلى غاية سقوط الدولة العثمانية إذ تأثر الجزائريون عند إلغاء الخلافة ، فحسبنا القول بأن إلغاء الخلافة الاسلامية سنة 1924، قد هز مشاعر المسلمين الجزائريين وجعل بعضهم يفكر في البدائل، ومن هؤلاء الأمير خالد الذي شارك في مؤتمر القاهرة حول الخلافة والشيخ أبو يعلى الزواوي الذي كتب يقترح إنشاء (جماعة المسلمين) بديلا عن الخلافة.[5]

وكثيرا ما ربط رجال الحركة الوطنية في المغرب العربي بين الخلافة وبين مصير المسلمين عامة فالإعتداء عليها هو إعتداء على كافة المسلمين وقد قام علي باش حانبه في تونس بتأسيس جريدة (الاتحاد الاسلامي) عام 1918 للدفاع عن هذا الطرح إذ جاء في أدبيات هذه الجريدة أن المسلمين يعتقدون أن كل يد تمتد بالأذى لدولة الخلافة هي يد عدو لدود... لكل المسلمين الذين عبروا عن ولائهم ومعاضدتهم للخليفة العثماني كما ذهبت جريدة الصواب في عددها ليوم 1911/10/06 إلى القول: " أن إعتداء إيطاليا على طرابلس الغرب هو إعتداء على الدولة العلية، وبالتالي على ثلاثمائة مليون مسلم يجلون الخلافة ويفدونها بالمهج والأرواح، إذ لا يوجد مسلم على وجه الأرض لا يقدس مقام الخلافة العثمانية تقديسا لا يقل عن تقديس كل أوروبا لمقام البابوية.[6]

وبناء على كل ذلك فإن الرابط الديني الروحي بين الخلافة العثمانية ، ومسلمي المغرب العربي وخاصة الزعماء الوطنيين، يعد داعما أساسيا للعلاقة التي ستربط هؤلاء بالدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.

ب/ الميدان التاريخي:

لعل من أهم دعائم العلاقة بين الزعماء الوطنيين المغاربة في المغرب العربي، والدولة العثمانية، هي تواجد هذه الأخيرة في المنطقة ، فمن المعروف أن الجزائر وتونس وليبيا كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية لمدة تتجاوز الثلاثة قرون، إذ أصبحت الجزائر إيالة عثمانية بعد أن طلب

السكان الانضواء تحت لواء الخلافة العثمانية بإسطنبول بعد أن استنجدوا بالأخوين عروج وخير الدين فقد كاتبه العلماء والأعيان من أهل بجاية يستصرخونه في إنقاذها من يد العدو ، فتوجه لها ومعه أخوه عروج وحاصرها بأسطوله.[7] و قد بذل الأتراك العثمانيون جهودا تحفظ لهم في التاريخ من أجل حماية الجزائر من التحديات الاستعمارية طوال ثلاثة قرون ، فكان خيرالدين بعد إستشهاد أخيه عروج قد أعلن تبعيته للسلطان العثماني سليم الأول وقرر إلحاق دولته الناشئة بالخلافة، وأرسل إلى السلطان يعرض عليه بيعته وذلك عام1518.[8] وفي سنة 1520 ثبتت الامبراطورية العثمانية أقدامها فوق الساحل الجزائري من البحر المتوسط فقامت بتحويل الجزائر إلى قاعدة لها من أجل التوسع في شمال إفريقيا، وفي سنة 1551 إستولى الأتراك على طرابلس الغرب.[9]

أما تونس فقد أصبحت جزء من الدولة العثمانية بعد أن قرر سليم الثاني إختيار وزيره سنان باشا قائدا عاما على الجند وأضاف إليه علج علي قبودان رئيسا على العمارة البحرية المتألفة من نحو ألف سفينة، وكان ذلك عام 1574...ودارت رحى الحرب بين الجيشين فاضطر الإسبان إلى التخلي عن مرساهم... وأخيرا تمكن سنان باشا من فتح القلاع عنوة و أُسر من بها من جنود الاسبان وذلك يوم 25 جمادي الأولى 981هـ / 1574م وأُلحقت بذلك الإيالة التونسية بالولايات العثمانية.[10]

ولابد من الإشارة إلى أن طريقة بسط النفوذ العثماني على المغرب العربي، والتي تمثلت في طلب الأهالي ذلك ، سواء في الجزائر أو ليبيا للحماية من السيطرة الاسبانية، جعل علاقة السكان في المنطقة بالعثمانيين ودية على الأقل في عهودها الأولى، إذ نجد أن التوسع العثماني في المغرب العربي كان في معظمه نتيجة لإلحاح القوى المعنية هناك على العثمانيين أن يدخلوا في الدولة العثمانية لتقوية الكفاح الإسلامي ضد العدوان الصليبي المتصاعد على ديار المسلمين في شمال إفريقيا ، فلقد كان شمال إفريقيا من ليبيا حتى مراكش يتعرض لتهديدات لسيطرة عسكرية مباشرة أوروبية أو لحملات مدمرة على كبريات موانئه ومدنه.[11]

وعلى ذلك فإن الماضي التاريخي المشترك ،قد ظل عامل ترابط قوي بين المغرب العربي والدولة العثمانية، فبالنسبة للجزائريين منذ 1830 ، كانت الأنظار تتجه نحو حركة الخلافة الاسلامية (إسطنبول) لنجدة الجزائريين، نجد ذلك في مواقف ومراسلات أعيان المدن والأمير عبد القادر، وحمدان خوجة والحاج أحمد باي قسنطينة.[12]

ج/ الميدان السياسي والعسكري:

لقد تقاطعت مصالح الطرفين السياسية و العسكرية خلال الحرب العالمية الأولى، بين الوطنيين المغاربة الذين كانوا يريدون إستغلال ظروف الحرب والضغط على المستعمر ولما لا حتى طرده، وفي هذا الإطار لابد أن نذكر (جمهورية شمال إفريقيا) التي وقع عليها الاتفاق مع الدولة العثمانية وألمانيا ، كمكافأة لأبناء المغرب العربي يؤسسونها بعد أن تنتهي الحرب لصالح العثمانيين والألمان ، وكان من أعضائها عبد الله الشرقاوي من المغرب والأمير عبد المالك من الجزائر، والذي يمثل جناحها العسكري.[13] فبالنسبة للحركات الوطنية المغاربية فوفقا للمثل القائل أن (عدو العدو صديق، وصديق العدو عدو) وبناء على ذلك الاعتقاد الشعبي فمادامت ألمانيا ثم تركيا (عدوتين للعدو) فيجب أن تكونا (صديقتين).[14]

ولابد من الإشارة إلى أن الجزائريين عامة كانوا يتطلعون إلى قوة كبرى تهزم فرنسا كما حدث ذلك في أوروبا عام 1870 من طرف ألمانيا ولذلك فإن ثقة الجزائريين كبيرة في هزيمة أخرى لفرنسا وهذه المرة في مستعمراتها ، فالجماهير في الجزائر فهمت أن دخول فرنسا في حرب ضد ألمانيا كان يعني تحطيم أو إختفاء الأولى ، ولذلك سرعان ما إنتشرت في أنحاء الجزائر دعاية سرية مفادها أن ألمانيا (عدوة فرنسا) قد خفضت الضرائب وأن الأتراك (حلفاء الألمان) قد هاجموا الجزائر من جنوب تونس، وأن الليبيين قد دخلوا الجزائر من الجنوب، وأن فرنسا قد إختفت من الجزائر.[15] ومهما يكن من أمر فإن الحرب العالمية الأولى قد وضعت أمام الوطنيين الجزائرية معسكرين، معسكر الأعداء ومعسكر الأصدقاء، وأن فرصة الإختيار التي كانت غائبة منذ 1830 كانت هي المساهمة الكبيرة التي قدمتها الحرب للجزائر.[16]

وأما تركيا و ألمانيا فالأولى تريد إسترجاع أمجادها وأملاكها في المنطقة ، والثانية تسعى للضغط على عدوها و إضعافه، فهي تبحث بلا شك عن أي نقطة ضعف لأعدائها من أجل إستغلالها فعمدت إلى مستعمراته بحثا عن ذلك فقد إهتمت ألمانيا إهتماما بالغا بحكم علاقاتها التاريخية مع دولة الخلافة الاسلامية بالعالم العربي الاسلامي قبل الحرب العالمية الأولى وأثنائها ، وقد كتب السياسي و المستشرق الألماني (البارون ماكس فو أوبنهايم Baroun Max fou oubeinhaim)في خريف عام 1914 تقريرا بعنوان " إثارة المناطق الاسلامية ضد أعدائنا" ومن ثمة رأت الحكومة الألمانية أن تجلب إلى ألمانيا الوطنيين العرب والمسلمين لتحقيق أهدافها،

وأدخلت منطقة المغرب العربي في خطتها ولذلك فقد أوضحت ألمانيا منذ 19 مارس 1913 أن هدفها " المساعدة على إحداث ثورة عامة في كامل إفريقيا الشمالية" ومن هذا التاريخ وضعت خطة تستطيع المانيا من خلالها خلق الصعوبات في المنطقة عن طريق الزعماء الدينيين والسياسيين.[17]

وبديهي أن الألمان سواء في الحرب العالمية الأولى أو الثانية لم يكن هدفهم إطلاقا مساعدة الشمال إفريقيين من أجل تحقيق أهدافهم الوطنية وهذا ما تنبه إليه الوطنيون الجزائريون عند إتصالهم بالألمان خلال الحرب العالمية الثانية ، ففي الواقع كان هدف الألمان هو تكوين شبكة من المخبرين والمرتزقة موالية لهم يسربونها وراء الخطوط الفرنسية ، بينما كان هدف الجزائريين هو البحث عن حلفاء لمساعدتهم على التحرر من نير الاستعمار، ولقد تبين أن الألمان لم يكونوا يولون أية أهمية للدوافع الوطنية التي كانت تحرك الجزائريين و المغاربة بصفة عامة[18].

أما بالنسبة للدولة العثمانية فلا شك أن محاولاتها الاتصال بالزعماء المغاربة وربط علاقة بهم ، هدفه إستعادة نفوذها في المنطقة على إعتبار أنها (أي المنطقة) كانت جزء من أراضيها ، ولذلك كانت الدولة العثمانية تشجع حركة الهجرة إليها القادمة من المغرب العربي، فقد أولى السلطان عبد الحميد الثاني ـ نفسه ـ إهتماما بأشغال لجنة الهجرة التي مهمتها تسهيل إستقرار المهاجرين والتي استخدمت مكتبا خاصا ، أوكلت إليه مهمة تهجير أكبر عدد ممكن من المغاربة إلى الولايات العثمانية كما أوفد إلى الجزائر الدعاة و المبعوثين من إسطنبول لحمل الجزائريين على الهجرة إلى الولايات العثمانية ، وقد نص قانون 1907 على أن كل مسلم غادر بلده الأصلي للإستقرار نهائيا في الامبراطورية العثمانية ، يصبح مباشرة مواطنا عثمانيا يتمتع بقطعة أرض كما منحت إعانات فورية للوافدين منذ وصولهم.[19]

وقد عملت الدولة العثمانية على إستمالة الوطنيين المغاربة عند إندلاع الحرب العالمية الأولى باستغلال العاطفة الدينية فقد توفرت للدولة العثمانية أرضية مناسبة عملت على إستغلالها باستعمالها لنفوذها الديني على المسلمين وذلك بإثارتهم ضد أعدائها و بالأساس فرنسا وبريطانيا وروسيا ، ولاشك أن إعلان الجهاد ضد هؤلاء كان قمة الاستنفار، ذلك أنه تم بالتحديد الاعلان عن " الفتوى الشريفية" كما ذهب إلى ذلك البعض يوم الجمعة 14 نوفمبر 1914 و التي حررها

شيخ الاسلام آنذاك خيري بن عون الأركوبي، والتي صيغت في إتجاه من شأنه أن يلف كافة المسلمين حول الدولة العثمانية.[20]

واستطاعت الدولة العثمانية استخدام كل ذلك لجلب الوطنيين المغاربة ومحاولة التعاون معهم ضد العدو المشترك، وسنتناول فيما يأتي نماذج من هؤلاء الوطنيين وقد تم إختيارهم على أساس أنهم الأكثر ظهورا على الساحة عندئذ، وكان لهم تأثيرا في بعض الأحيان على سير الأحداث، كما أنهم إختلفوا من حيث وسائل نضالهم وكفاحهم.

ثانيا/ نماذج من الوطنيين المغاربة المتعاونين مع تركيا وألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى:

هناك الكثير من الناشطين الوطنيين المغاربة الذين إستقروا في إسطنبول أغلبهم قدموا إليها مهاجرين أو منفيين ، واستغلوا تشجيع تركيا و ألمانيا لهم لمعاودة النشاط الوطني من جديد، وأغلب هؤلاء كانوا من تونس والجزائر، ومن هؤلاء:

أ/ الأخوين باش حانبه:

وهما علي و محمد باش حانبه، وتكتب أحيانا بالميم (حامبه) وأحيانا دون ألف (حنبه و حمبه) وهي أسرة من أصول تركية إستقرت بتونس كغيرها من الكثير من الأسر و العائلات التي إستوطنت المغرب العربي خلال الحكم العثماني، وبرز من هذه العائلة الأخوين علي ومحمد.

1/ علي باش حانبه (1875/ 1918):

ولد بتونس عام 1875 ودرس بالمدرسة الصادقية ، ثم في باريس، حيث تحصل على شهادة الليسانس في الحقوق، ومارس مهنة المحاماة بتونس إلى جانب نشاطه السياسي ، وهو من مؤسسي جمعية قدماء الصادقية 1906 ، وأصبح بداية من هذه السنة زعيما لحركة الشبان التونسيين ، وقد أنشأ مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي جريدة (التونسي) 1911/1907، ونفي إلى إسطنبول عام 1912 إثر حوادث مقاطعة الترام في تونس،[21]وهناك تولى عدة مناصب حكومية بالدولة العثمانية ووافته المنية في اسطنبول عام 1918.[22]

2/ محمد باش حانبه: (جوان 1881/ جانفي 1921)

ولد بتونس ، درس بالصادقية اشتغل مستخدما في إدارة المال ، ثم في إدارة العدلية ، وفي سنة 1912 سمي حاكما بمحكمة الدريبة، انخرط في كلية الحقوق بباريس ودرس إلى السنة الثالثة ،ثم عمل بتونس بسلك المحاماة، له ثقافة مزدوجة عربية وفرنسية ، وكان أحد عناصر حركة (الشبان

التونسيين) غير أنه لم يبرز كأخيه في تونس ، كما أن السلطات الفرنسية لم تنفه على إثر أحداث 1912 كأخيه، فقد ترك محمد تونس مقتفيا خطوات أخيه علي، وفي شهر أوت 1913 إلتحق بإسطنبول، ثم عاد إلى تونس 1914 محاولا إعادة بعث حركة (الشباب التونسي)، لكن البوليس الفرنسي ظل يتعقبه فعاد إلى إسطنبول في نفس السنة 1914 ، ثم سافر إلى جنيف حيث برز نشاطه الوطني وفيها وافته المنية عام 1921.[23]

نشاطات الأخوين ذات العلاقة بتركيا و ألمانيا:

عندما إستقر علي باش حانبه بإسطنبول كانت له نشاطات عديدة تميزت بالجرأة والشجاعة على حد وصف أحمد توفيق المدني الذي قال: فالسيد الأستاذ علي باش حانبه المقدام الجريء، الذي إستوطن إسطنبول بعد إبعاده من تونس ، وأصبح من أكبر العاملين المسلمين في دوائر الوزارة الخارجية العثمانية المختصة ، واضطلع بالكثير من الأعمال الصعبة ذات المسؤوليات الخطيرة ، وقد إلتفت حوله لإنجاز تلك المهمات للدفاع عن مصالح تونس و الجزائر في الحال والمآل عصبة من كبار التونسيين والجزائريين ، أذكر منهم الشيخ إسماعيل الصفايحي[24] والشيخ صالح الشريف.[25] وعلى كل حال فإن هؤلاء المناضلون هم مناهضون للإستعمار أكثر مما هم مناصرون لألمانيا كانوا يتمسكون بالخلافة على الرغم من انحطاط الامبراطورية العثمانية ومن ممارسات الأتراك المتعسفة ضد أهل الملل الأخرى، فذلك بالنسبة إليهم أقل شرا من سياسة إذلال الإسلام وسياسة التمييز العنصري في تطبيق القوانين و سياسة عدم المساواة الضريبة ، فقد ندد الأخوين باش حانبه باسم الجزائريين والتونسيين بالمظالم الاستعمارية ، وقد لفتت ألمانيا إنتباههم إليها لأنها غير موجودة في البلاد العربية ، ويمكنها أن تقف في وجه القوى الامبريالية.[26]

ولم تمض على إقامته (علي باش حانبه) في إسطنبول سنة حتى عين كملحق في مصلحة التفتيش بوزارة العدالة في سبتمبر 1913 ،وقد إحتج السفير الفرنسي السيد بومبار BOMPART على هذا التعيين لدى الوزير الأول العثماني الذي رد عليه في نوفمبر من أن تعيين علي باش حانبه في هذا المنصب ، ينـدرج في إطـار " تحديد حرية نشاطه" وبعد مدة قصيرة عين علي باش حانبه كمستشار للدولة العثمانية ، وقد صرح رئيس هيئة الاستشارة العثماني للسيد بومبار إثر هذا التعيين قائلا:" إنه جد مسرور بوجود علي باش حانبه في هيئته لتوفره على مؤهلات تعليمية وثقافة كان يبحث عنها " وفي هذه البيئة الجديدة وجد علي باش حانبه كذلك

ميدانا لاستئناف نشاطه السياسي وعمله على خدمة القضية التونسية خصوصا والمغاربية عموما، فأخذ يستفز همم العثمانيين لمناصرة المغرب العربي وتحريره بما كان يكتبه من مقالات في الجرائد العثمانية التي كانت تعبر عن لسان حال الخلافة ومناصريها كجريدة (الشباب التركي) وجريدة (تصوير الأفكار) وجريدة (طنين)، وكان لدعايته أكبر الأثر في توجيه نظر المشتغلين بالقضايا الاسلامية إلى حالة المغرب العربي وحين إندلعت الحرب العالمية الأولى أصبح علي باش حانبه رئيسا لهيئة (التشكيلات)[27]، ومن خلالها أتيحت له الفرصة أن يلعب دورا كبيرا في الدعاية ضد فرنسا وحلفائها ونشر فظائعها في الشمال الإفريقي كله. وقد توجه علي باش حانبه في إطار نشاطه على رأس هيئة (التشكيلات) إلى مصر تحضيرا لعمل عسكري، غير أنه إختفى هناك في صيف 1917 بعد أن طلبت وزارة الخارجية الفرنسية من السلطات البريطانية إلقاء القبض عليه ثم عاد إلى إسطنبول في نفس السنة ، حيث حاول تنظيم وتدريب فيلق من الجنود المغاربة الذين نقلوا من ألمانيا لينزل بهم بالغواصات الألمانية على شواطئ طرابلس الغرب، حتى يقوم بحركة مسلحة تستهدف تحرير المغرب العربي، وقبل أن يكمل هذه المهمة أصيب علي باش حانبه بمرض مات على إثره.[28]

كما كانت لعلي باش حانبه تحركات أخرى فقد وجد دعما من الحكومة العثمانية ونهض بنشاط خارجي دعا فيه إلى تحرير أبناء الشمال الإفريقي ووجدت دعوته صدى في الجنوب التونسي حيث أعلنت قبائل بني زيد الثورة على فرنسا عام 1915.[29] وقد إتصل علي باش حانبه في إسطنبول بشكيب أرسلان[30] وسليمان الباروني[31] وعبد العزيز جاويش[32] وشكلوا هيئة تحرير شمال إفريقيا إلى جانب السنوسيين في برقة واتصلوا بفزان وجنوب الجزائر وتونس والصحراء الكبرى، وشاركوا مع أحمد الشريف السنوسي[33] في مهاجمة حدود مصر الغربية، وتجميع شباب المغرب العربي في أوروبا وارسالهم إلى شمال إفريقيا.[34]

أما محمد باش حانبه ـ وقد سبق تقديم ترجمة له ـ فقد ترأس فرع لجنة إستقلال الجزائر و تونس في جنيف بسويسرا التي أصدرت (مجلة المغرب)(La revue du maghreb) الناطقة باللغة الفرنسية برئاسة محمد باش حانبه دائما ، وذلك في ماي 1916 وكان الناشر الخفي للمجلة هو جمعية عالمية إسلامية مقرها لوزان، التي كانت برئاسة الخديوي عباس حلمي ، وهي عبارة عن لجنة تابعة لجمعية الاتحاد والترقي التركية ، ويذهب البعض إلى أنها مموله من المصالح السرية الألمانية ، وكانت تسحب في ألف نسخة وتصدر شهريا.[35]وقد تواصل صدورها إلى غاية ديسمبر1918

واعتبرها صاحبها امتدادا لجريدة (التونسي) التي منعت من الصدور منذ 1912 ، وهذه المجلة لا تطالب بالاستقلال لأقطار المغرب العربي بل بمجرد إصلاحات في صلب النظام الاستعماري، إذ جاء في العدد الأول من المجلة " يجب على المسلمين في شمال إفريقيا المهيمن عليهم من قبل أوروبا أن يهتموا بمصيرهم ، وعليهم أن يعملوا لمستقبلهم، فبإمكانهم على الأقل بذل مجهود لكسب تحسينات في النظام المفروض عليهم"، وفي أواخر 1917 تبلورت هذه التحسينات في شكل المطالبة بدستور يضمن الحقوق والحريات العامة ويفصل بين السلط في الحكم، ويمنع كل نوع من الاستثناء وعدم المساواة أمام نفس القانون مع خلق مجلس تشريعي ومالي منتخب، وتنظيم الجمعيات وإحداث مجالس منتخبة ومجالس عمالات منتخبة.[36]

وهكذا أصبحت هذه المجلة مركز نشاطات الوطنيين الجزائريين والتونسيين ، وفي عددها الثاني كتب أحد الجزائريين قائلا:" إننا جزائريون مسلمون ، وسنبقى جزائريين مسلمين" جوابا للفرنسيين الذين إدَعوا بأن الجزائريين كانوا رعايا فرنسيين.[37] وقد سايرت المجلة التطورات العالمية وتأثرت بها ،فبعد ظهور مبادئ ويلسن welson رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حول " حرية الشعوب في تقرير مصيرها" أصبحت المجلة منذ 1918 تطالب بتطبيق هذه المبادئ على شعوب شمال إفريقيا التي من حقها العيش في حرية واستقلال.[38]كما إهتمت المجلة بقضايا العالم الاسلامي ، ومن ذلك إنتفاضة الحجاز 1916/1915، واصفة إياها على أنها "تمرد" وعمل " شنيع" ضد الخلافة الاسلامية ، ووصفتها أنها تدخل من القوات الاستعمارية الفرنسية والإنجليزية في "شؤون المسلمين الدينية الخاصة" كما إهتمت بدخول الدولة العثمانية الحرب ، وأبرزت أهدافها المتمثلة في الاستقلال والحرية.[39]

ومن نشاطات محمد باش حانبه أيضا مشاركته في مؤتمر لوزان رفقة صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي كممثلين للجنة إستقلال الجزائر وتونس وانعقد المؤتمر بلوزان بتاريخ 1916/06/27، وقد حمل حانبه خلال المؤتمر مطالب عن الشعوب العربية والاسلامية المحتلة، وتعرضت العريضة المقدمة إلى المؤتمر إلى الوضعية الاجتماعية والثقافية التي يعيشها الشعب الجزائري والتونسي، وإلى النظام السياسي المسلط عليهما من قبل الاستعمار، واصفة كل ذلك "بالنظام التعسفي المبني على الجور والارهاب"، كما كان لمحمد باش حانبه نشاطا ضمن اللجنة الجزائرية التونسية التي تكونت أواخر1918 من الشيوخ صالح الشريف، محمد الخضر حسين، محمد مزيان التلمساني، محمد

الشيبي التونسي، محمد بيراز الجزائري ،حمدان بن علي الجزائري، وقد أرسلت اللجنة برقية إلى الرئيس ويلسن أثناء مروره بروما في 1919/01/02 ترجمت مشاعر الشعب الجزائري ـ التونسي تجاه ما صرح به الرئيس ويلسن ، وطالبت بإرسال مفوضين إلى مؤتمر السلام ليمثلوا الشعب الجزائري والتونسي ويطالبوا بحقه في تقرير مصيره بكل حرية كما وجهت اللجنة بعد ذلك عريضة طويلة إلى مؤتمر السلام قبل إنعقاده في فرساي في 1919/01/18.[40]

وكان محمد باش حانبه قد توجه إلى برلين معلقا الأمل على مساعدة الحكومة الألمانية ، وبانهزام الدولة العثمانية وألمانيا أراد باش حانبه توسيع نضاله إلى العمل الثوري ففي رسالة وجهها إلى عبد العزيز الثعالبي بتاريخ 1919/11/22 قال:" إن ساعة العمل في الخفاء قد إنتهت...يجب أن نصرح علنا بأهدافنا أننا نطالب باستقلالنا دون تردد" وجاء في رسالة أخرى بتاريخ 1920/01/22 :"إن الحرية تؤخذ بالقوة" ونلتمس من هذه الرسائل الأسلوب الثوري الذي أصبح يتميز به محمد باش حانبه، غير أن الظروف الدولية والمحلية لم تساعده على القيام بذلك، كما أنه قد وافته المنية في برلين في 1921/12/27 وقد نقل جثمانه إلى تونس عام 1968.[41]

ب/ الشيخ صالح الشريف التونسي:

ينسب صالح الشريف إلى عائلة جزائرية، إذ إرتحل آل الشريف خلال القرن الحادي عشر الهجري من مدينة بجاية إلى تونس حيث استقروا وتعاقب فيهم النسل إلى جده الشيخ العربي الشريف أحد الأساتذة بالجامع الزيتوني الأعظم.[42] ولد الشيخ بتونس عام 1868 [43] ،أو 1859 [44]، أو 1862 [45]، أو 1869 [46] وبذلك تختلف المراجع في تحديد تاريخ ميلاده، ومن المرجح أن يكون الأخير 1869 باعتباره يوافق السن المسموح به للانتساب لجامع الزيتونة، في حين تتفق المراجع في تاريخ وفاته ومكانه وهو 1920 بسويسرا، إلتحق بجامع الزيتونة 1881 فحصل عام 1886 على شهادة التطويع ، وأصبح منذ سنة 1893 مدرسا من الطبقة الأولى.[47] وكان الشيخ مولعا بتعلم اللغة التركية فعانى مشقة تعلمها ،فأتقنها واعتزم السفر إلى الشرق لخوض معمعة السياسة.[48] عرف بتحمسه للخلافة العثمانية وبدفاعه عن سيادتها على بلاد المسلمين ، غادر البلاد التونسية إلى الحج سنة 1906 فتوجه مباشرة إلى إسطنبول ، حيث عين مرشدا دينيا ومدرسا خطيبا في دمشق، ثم عاد إلى إسطنبول ملتحقا بمشيخة الاسلام، وباندلاع الحرب الطرابلسية سنة

1911 إلتحق صالح الشريف بالقيادة العسكرية كمعاون ومترجم للقائد العام آنذاك أنور باشا، كما صاحب هذا الأخير في حروبه بالبلقان ، وبتعيين أنور باشا وزيرا للحربية أصبح صالح الشريف مستشارا بها ، نشط أثناء الحرب العالمية الأولى في الدعاية على عدة جبهات لصالح تركيا وحلفائها ، كما أسس العديد من اللجان والجمعيات ،وشارك في العديد من المؤتمرات الدولية للتعريف بالقضية التونسية ـ الجزائرية، وألف العديد من الكتب والكراريس الدعائية التي ترجمت إلى العديد من اللغات وقد توفي في سويسرا 1920.[49]

نشاطات صالح الشريف ذات العلاقة بتركيا وألمانيا أثناء الحرب العالمية الأولى:

يعد صالح الشريف من أكثر الوطنيين المغاربة نشاطا وحيوية في هذه المرحلة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى ،حتى وصف بأنه أول من أعلن (الحرب المقدسة) في هذا العصر.[50] أما نشاطاته خلال الحرب فقد تمحورت حول ثلاث مجالات:

1/ على المستوى الخارجي:

إذ كانت للشيخ صالح الشريف نشاطات خارجية عديدة فقد أُرسل إلى الحجاز لمحاولة إقناع الملك إبن سعود بضرورة التكاتف ضد المصالح الغربية في المنطقة.[51] فقد كلفه الخليفة بمهمة سياسية كبرى ، وهي السعي بالصلح بين أمراء نجد من آل سعود وآل الرشيد الذين دخلوا في قتال قبلي ، وقد قابل الشيخ صالح ، الشريف حسين حاكم مكة، ومكث في المدينة المنورة، وذهب مرتين إلى نجد لمقابلة الأمير إبن الرشيد.[52] وفي 1916/01/07 تأسست في برلين لجنة إستقلال الجزائر وتونس من الجزائريين والتونسيين برئاسة الشيخين صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي.[53] وفي إطار النشاطات الخارجية دائما ترأس صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي وفدا باسم لجنة إستقلال الجزائر وتونس للمشاركة في أشغال المؤتمر الثالث للقوميات المنعقد بلوزان (سويسرا) بتاريخ 1916/06/27، وقدم مطالب تترجم مطامع الشعب الجزائري والتونسي.[54] كما طلب المساعدة الألمانية للحصول على الاستقلال المغاربي في حفل شاي كان على شرفه والشيخ الصفايحي مع قيصر ألمانيا، كما وصلت جرأة الشيخ حدا كبيرا حيث أرسل صالح الشريف في سنة 1917 رسالة إلى القيصر يطلب منه فيها تصفية جميع مستعمراته حتى يستطيع أن يقدم إلى العالم الدليل على حسن نواياه.[55] وكنا قد أشرنا سابقا إلى نشاطه مع الأخوين باش حانبه في مراسلة الرئيس الأمريكي ويلسن أثناء مروره بروما، وأصدر الشيخ صالح الشريف أيضا مع زميله إسماعيل الصفايحي

منشورا باللغة الفرنسية سنة 1917 وأرفقاه بتقرير حول منظمة الدعاية الاسلامية ، وكان عنوان المنشور هو (شكوى الشعوب المقهورة: تونس والجزائر)، وفي لوزان وفي نفس السنة أصدر بيانا باسمه كرئيس اللجنة من أجل إستقلال الجزائر وتونس وكان يهدف إلى تجنيد المسلمين ودفعهم إلى الوقوف صفا واحدا ضد العدو الفرنسي والانجليزي والروسي والايطالي.[56] كما كان للشيخ في إطار النشاط الخارجي دور في الدعاية للعالم الاسلامي ، حيث أصدر كتيبا عن (الحرب المقدسة) أي الجهاد قوبل بترحاب كبير لدى الرأي العام الألماني ، وأرسلت نسخ منه إلى قيصر ألمانيا ، الذي وجه الشكر إلى صالح الشريف التونسي على كتابه.[57]

2/ على مستوى جبهات القتال:

كان للشيخ صالح الشريف نشاطات على مستوى جبهات القتال ، إذ توجه للجبهة الغربية ليتصل بالجنود المسلمين في الجيش الفرنسي وخاصة أبناء تونس ليحثهم على الإنتقال إلى جانب الألمان ، كما كتب عدة بيانات طبعت في المطبعة الامبراطورية الألمانية وتم إلقائها على جبهات القتال التي يوجد بها جنود شمال إفريقيا تدور مواضيعها حول فحص الاحتلال الفرنسي لتونس ، وكذلك فكرة أن الخليفة قد أعلن الجهاد على انجلترا وفرنسا وروسيا، وأن ألمانيا و النمسا تحاربان في صف الخليفة فانتقل الكثير منهم إلى صفوف المحور.[58]

3/ على مستوى معاقل الأسرى المغاربيين:

كانت ألمانيا قد إتفقت مع تركيا على تجميع كل الأسرى المسلمين في مختلف المحتشدات الألمانية في محتشد (فامبارغ ـ زوسن zossen _ weimberg) على بعد 40كلم من برلين مع العلم أن نقلهم إليه بدأ في ديسمبر 1914 ، وقد بلغ عددهم الاجمالي سنة 1916 مثلا 4000 أسير.[59] وأصبح المحتشد يسمى بمعسكر الهلال وقد زاره صالح الشريف وحرَض الأسرى المسلمين على القتال ضد الفرنسيين وقد قام بنشاطات دعائية معتبرة إلى درجة أن الرائد (نادولني) مسؤول القسم السياسي لقيادة الأركان الألمانية فضله على كل القائمين بالدعاية في هذا المعسكر.[60]

ج/ عبد الله بوكابوية:

يعد القبطان الحاج عبد الله بوكابوية ، نموذجا لأولئك المغاربة الذين جندوا في الجيش الفرنسي ، وكانوا يضمرون العداء الشديد لفرنسا ، واستطاع بوكابوية الانتقال إلى المعسكر المعادي لفرنسا وفق مقولة (عدو العدو صديق)، فمن هو القبطان بوكابوية هذا؟

ولد الحاج عبد الله (ويدعى أيضا عبد الرحمان، وكذلك رابح وأيضا بلقاسم) بوكابوية في قسنطينة عام 1871 في عائلة تعد من أعيان المدينة، تخرج من مدرسة المعلمين ببوزريعة (الجزائر العاصمة)[61] وقد اشتغل بالتعليم، وهو ذو ثقافة مزدوجة وذو علاقات مع أبرز العائلات القسنطينية .[62]وقد إستقال من التعليم ليتطوع في الجيش ضمن فيلق التيرايور الجزائريين،[63]وقد قام بالفرار من الجيش الفرنسي بسبب التمييز وكان السبب المباشر هي حادثة وفاة نقيب المجموعة التي يتواجد فيها ، وقرار تعيين أحد أوروبيي الجزائر محله حيث إعتبر بوكابوية أنه الأحق لخلافته.[64] وانخرط في الدعاية الألمانية تحت إسم الحاج عبد الله بوكابوية وبعد الحرب إلتحق بتركيا أين شغل منصب مستشار مسموع الكلمة لمصطفى كمال اتاتورك.[65]

نشاطات رابح (عبد الله)بوكابوية:

بعد فراره من الجيش الفرنسي كان بوكابوية من الذين ساهموا في (حرب النشريات) ففي سنة 1915 أصدر كتيبا بعنوان " الاسلام في الجيش الفرنسي" بإسطنبول ، وبعد ذلك أصدرت له لجنة إستقلال الجزائر وتونس كتيبا ثانيا بلوزان (سويسرا) سنة 1917 بعنوان " الجهاد و مسلمو إفريقيا الشمالية" تحدث فيه عن وضعية الجنود والرتباء الجزائريين والمغاربة بصفة عامة في الجيش الفرنسي، المثبطين بمتابعة الجوسسة الفرنسية، وطالبهم بالفرار من الجيش الفرنسي و بالعصيان والثورة.[66] كما كشف فيه الانتهاكات التي إرتكبتها السياسة الاستعمارية تجاه الاسلام ،وقد تحول الكتاب إلى أداة أساسية للتأثير على نفوس المسلمين إستعملتها ألمانيا التي أمّنت له إنتشارا واسعا.[67]

أما الكتيب الآخر لبوكابوية فكان بعنوان (الجنود المسلمون في خدمة فرنسا Les Soldats Musulmans au service de la France) شهّر فيه بالمعاملة الفرنسية السيئة لجنود شمال إفريقيا ، من حيث لباسهم وتموينهم وخصوصا وضعهم في الجبهات في الصفوف الأمامية للحد من الخسائر الفرنسية، كما ركز فيه على العلاقات الوطيدة لمسلمي شمال إفريقيا بتركيا والتي يعتبرونها مصدر فخر واعتزاز لهم مؤكدا أن العثمانيين يمثلون نموذجا على درب التقدم وبإمكان المسلمين التعويل على حمايتهم وفي المقابل فإنه يتحتم على هؤلاء أن يقابلوهم بالخضوع والطاعة الأخوية.[68]

د/ الأمير عبد المالك بن الأمير عبد القادر الجزائري:

تعد حركة الأمير عبد المالك ، حركة مسلحة وجدت دعما وتأييدا من العثمانيين والألمان ، يهدف من ورائها صاحبها إلى لعب دور محوري في المنطقة وإقامة مملكة واحدة تضم المغرب والجزائر، أما العثمانيين والألمان فهدفهم زعزعة استقرار عدوتهم فرنسا وإلحاق أكبر قدر من الضرر بها. فمن هو الأمير عبد المالك؟ وكيف قام بثورته ضد فرنسا في المغرب؟

الأمير عبد المالك هو الإبن ما قبل الأخير من أبناء الأمير عبد القادر، إذ لا يصغره إلا أخوه عبد الرزاق وقد ولد بدمشق سنة 1285هـ /1868م ،وهناك تعلّم وتأثر بحركة الجامعة الاسلامية، وكان يحسن إلى جانب العربية اللغتين التركية والفرنسية، وكان خطيبا وشاعرا أيضا.[69] كان عبد المالك طموحا مغامرا ، دخل في نهاية القرن التاسع عشر في الجيش العثماني وحصل على رتبة مقدم ، وسافر إلى طنجة سنة 1903 عندما سمع بثورة بوعمامة في الجنوب الغربي الجزائري، وحارب ضد الفرنسيين وبعدها عمل عبد المالك إلى جانب السلطان المغربي عبد العزيز الذي عينه قائدا لجيوشه في القصر الكبير سنة 1906،ثم عين الأمير عبد المالك نائبا لوزير الحربية المغربي ثم قائدا للشرطة الدولية بطنجة في نفس السنة.[70]

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى كان الأمير عبد المالك في مدينة فيشي بفرنسا يتداوى من مرض الربو، كما زار إسبانيا في نفس العام وعندما تأكد موقف الأمير عبد المالك المعادي للفرنسيين إتصل به سفير ألمانيا في مدريد (الكونت دي راتبور Konnter Diratbaur) وطلب منه إرسال مندوب عنه إلى مدريد للإتفاق على خطة مشتركة، فأرسل الأمير إبنه محي الدين إلى مدريد لذلك الغرض، وقد وقع الاتفاق على فتح جبهة ضد الفرنسيين في المغرب ومحتوى هذه الخطة أن ألمانيا والدولة العثمانية تتعهدان بالمساعدة إذا نجحت الخطة على إقامة مملكة واحدة تضم المغرب والجزائر.[71]وقد دخل الأمير عبد المالك في مواجهة ضد فرنسا ـ كما سوف نعرف ـ غير أنه وبعد الهدنة 1918 تخلى عنه حلفاء الأمس ، ودخل في حرب مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي قتل أثنائها في أوت 1924.[72]

نشاط الأمير عبد المالك خلال الحرب العالمية الأولى:

بناء على الإتفاق السابق ذكره مع الألمان والعثمانيين توجه الأمير عبد المالك إلى المغرب لتنظيم قواته حيث تعرض لمشاكل كادت تعصف بحركته.[73] وفي بني مستارة ألف الأمير أول قوة لمقاومة الفرنسيين في المغرب ، وكان جيشه يتألف من فرق نظامية وأخرى شعبية ، وكان يعمل في

معسكره ضباط ألمان وأتراك وكان رئيس البعثة الألمانية لديه هو (السيد هيرمان Hierman)، وكان في معسكر الأمير أيضا بعض الهاربين من فرقة اللفيف الأجنبي الفرنسية، كان الأتراك والألمان يقدمون له الأسلحة والعتاد ولكن بكمية غير كافية .[74] وخلال سنة 1916 دخل الأمير عبد المالك في مواجهة حقيقية ضد القوات الفرنسية فقد جرت معركة سوق الأحد في 1916/01/27 بمنطقة غزناية ضد العقيد الفرنسي سيمون Simon ، واستطاع الأمير عبد المالك أن يفتح ثلاث جبهات : الجبهة الأولى وكانت بقيادة الشريف محمد بن الصديق في غمارة، أما الثانية فكانت على وادى الورغة بقيادة الشنقيطي، أما الجبهة الثالثة والتي كانت أكثر خطورة وفعالية فكانت بقيادة الأمير عبد المالك نفسه، وكانت بمنطقة غزناية ثم إنتقلت بعد معركة سوق الأحد إلى الجبهة الشرقية لصنهاجة.[75]

غير أنه وبعد توقيع الهدنة بين أطراف الحرب العالمية الأولى سنة 1918 بدأ الأمير عهدا جديدا كان أقسى تجربة عليه من الأول، فقد تخلى عنه الأتراك والألمان وانسحب من عنده 500 فارس من بني زناسن وذهبوا بأسلحتهم إلى مليلية بالمنطقة الاسبانية.[76]وتطورت الأحداث حيث أدت التحالفات إلى مواجهة بين محمد بن عبد الكريم الخطابي و الأمير عبد المالك انتهت بالمواجهة المسلحة التي أدت إلى قتل الأخير في أغسطس (أوت) 1924.[77]

وعموما تلك هي نماذج عن العلاقة بين الوطنيين المغاربة ، مع تركيا وألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى، سواء منها تلك التي إعتمدت أسلوب النضال السياسي بالمناشير والكتيبات والخطب وتحفيز المحاربين للتمرد على فرنسا، وكذا المشاركة في مؤتمرات دولية، أو تلك التي إستخدمت القوة المسلحة والتي إنتهت جميعها دون أن تحقق النتائج المرجوة منها من الطرفين.

خاتمة:

ومن خلال دراستنا للعلاقة بين الوطنيين المغاربة وتركيا وألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى توصلنا للنتائج التالية:

فشل الطرفين في تحقيق أهدافهما فلا تركيا و ألمانيا إستطاعتا تحقيق مبتغاهما وهو إثارة مناطق المغرب العربي ضد عدوهما، وبالتالي المساهمة في تحقيق الإنتصار في الحرب العالمية الأولى، ولا الوطنيين تحصلوا على الدعم اللازم لأجل تحرير المنطقة من الهيمنة الاستعمارية الفرنسية.

محدودية مساعدة القوى الأجنبية لحركة التحرر ،فقد تبين للمغاربة أن المساعدة التي كانوا يطلبونها من ألمانيا لها حدود لا يمكن تخطيها،[78] وبالتالي فإن الاعتماد على القوى الأجنبية للتحرر الوطني هو رهان خاسر، ذلك أن هذه القوى تبحث بدورها عن كيفية بسط سيطرتها ونفوذها على المنطقة، خدمة لمصالها.

التعاون الوثيق بين التونسيين والجزائريين إلى درجة أننا لا نلاحظ أي مطلب من مطالب الوطنيين، أو نشاط سياسي أو عسكري يستقل فيه قطر عن آخر، فكان الأخوين باش حانبه وكذا الشيخ صالح الشريف يطالبون بمطالب تخص القطرين وسعوا إلى تأسيس دولة مستقلة تجمع القطرين، وكذلك الحال بالنسبة للأمير عبد المالك الذي أراد التأسيس لمملكة تجمع المغرب والجزائر.

تشديد القبضة الحديدية على المنطقة، من قبل الاستعمار الفرنسي الذي شعر فعلا بخطورة التعاون بين الألمان والأتراك والوطنيين المغاربة على وجوده في المنطقة وكان (ليوتي) في المغرب قد إتخذ إجراءات حازمة حتى لا تنتقل حركة الأمير عبد المالك إلى الجزائر.

بالرغم من فشل الأهداف الآنية لهذه العلاقة إلا أنها ساهمت بلا شك في إثراء التجربة النضالية لزعماء الحركة الوطنية المغاربة، فالأمير خالد مثلا كان على ما يبدو قد إنغمس في نشاط سري ثوري لتحرير المغرب العربي،[79] وسواء تأكد ذلك أم لا فإنه مع نهاية الحرب العالمية الأولى بدأ الأمير خالد حركة سياسية بالجزائر إستهلها بعريضة قدمها سنة 1919 إلى الرئيس الأمريكي ويلسن خلال مشاركته في مؤتمر الصلح بفرساي مطالبا بحق تقرير المصير للجزائر.

تواصل النضال السياسي في تونس بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي سافر مع نهاية الحرب العالمية الأولى إلى باريس في 1919/07/10 لمؤازرة مبعوث النخبة التونسية أحمد السقا الذي كان قد أُفد إلى باريس لتقديم عريضة بمطالب التونسيين منها مطلب الاستقلال لتونس.[80]

الهوامش

عبد الله التل، **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام**، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 1989، ص 74.[1]

عبد الله التل، نفس المرجع، ص 82.[2]

محمد البشير الإبراهيمي، **في قلب المعركة 1954/1962**، دار الأمة للطباعة والترجمة والتوزيع والنشر، الجزائر، 1994، ص 32.[3]

أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، ج 02**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 119.[4]

أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 03، دار المعرفة ، الجزائر، 2009، ص 20.[5]

[6] التليلي العجيلي، **السياسة الاسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى**، مجمع الأطرش للكتاب المتخصص ، تونس، 2018، ص 57,58،59.

[7] أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج 02، الدار العربية للكتاب، تونس، 2004، ص 10.

[8] صالح فركوس، **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2005، ص 105/104.

[9] نيكولاي إيليتش بروشين، **تاريخ ليبيا من منتصف القرن الـ 16 إلى مطلع القرن الـ20**، ترجمة، عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، لبنان، 2001، ص 26.

[10] حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس** ، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001، ص 110.

[11] عبد العزيز سليمان نوار، **الشعوب الإسلامية** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973، ص 116.

[12] أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988، ص 40.

[13] يوسف مناصرية، **الشيخ صالح الشريف المفكر الإسلامي 1859/1919**، حولية المؤرخ، العدد 2002،01، إتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر

[14] سعد الله، الحركة الوطنية، ج 02، ص 251.

[15] نفس المرجع، ص 251.

[16] نفسه، ص 252.

[17] محمد بلقاسم، **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا 1910/1954**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 38،39.

[18] بن يوسف بن خدة، **جذور أول نوفمبر**، ترجمة، مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 120.

[19] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 101.

[20] العجيلي، نفس المرجع، ص 179.

[21] وقد حدثت هذه الأحداث إثر مصرع طفل تونسي من قبل قاطرة تابعة لشركة النقل بالقاطرات كان يسوقها إيطالي ، أثار هذا الحادث سخط سكان مدينة تونس المسلمين في جو سادته آثار إحتلال إيطاليا لطرابلس إستهزاء الجالية الايطالية المقيمة بالمدينة من التونسيين من جراء هذا الانتصار فوقفت الجماهير التونسية معبأة وراء نخبة شكّلها (علي باش حانبه) لمقاطعة الشركة ورفض استهلاك المنتوجات الايطالية كما نظم عمال الشركة إضرابا طالبوا فيه بطرد العمال الأجانب (الإيطاليين) والتساوي في الأجور ومراقبة تنظيم سير القاطرات، فقامت إدارة الحماية في مارس 1912 باعتقال الزعامات التي كانت وراء الاحتجاج ونفيهم خارج تونس (أحمد عبيد، التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية، دار إبن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 180).

[22] محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 54.

[23] محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 65،66.

[24] الشيخ إسماعيل الصفايحي (1334/1269هـ ، 1918/1853م)من شيوخ الزيتونة ، تولى القضاء الحنفي بتونس العاصمة ،كانت له مساهمات في النضال الوطني للتونسيين والجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى إنطلاقا من إسطنبول (انظر، محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 59).

[25] أحمد توفيق المدني، **مذكرات أحمد توفيق المدني حياة كفاح، ج01**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 88.

صادق سلام، **فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الاسلامية 1895/2005**، ترجمة ،زهيدة درويش جبور، دار كلمة، الإمارات العربية المتحدة، 2012، ص 210. [26]

هي عبارة عن قوات غير نظامية كونتها الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى هدفها تحرير بلدان العالم الاسلامي مكونة من أسرى الحرب المغاربيين (أنظر محمد بلقاسم، مرجع سابق). [27]

محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص ص 106،108. [28]

عبد الله مقلاتي، **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2014، ص 99. [29]

ولد شكيب أرسلان في 1869/12/25 في بلدة الشويفات بلبنان، في أسرة إشتهرت بالأدب و العلم والسياسة، وقد تنوعت نشاطاته وتعددت إهتماماته تعلم القرآن ودخل مدرسة امريكية في الشويفات فتعلم العلوم الحديثة ومبادئ الأنجليزية، ثم دخل مدرسة الحكمة ببيروت حيث تعلم اللغة الفرنسية والتركية والانجليزية، كما انه تتلمذ على يد محمد عبده في المدرسة السلطانية وسافر إلى مصر حيث لازم محمد عبده وفي سنة 1892 سافر إلى الأستانة حيث إلتقى بجمال الدين الفغاني، دافع أرسلان عن الخلافة ثم على وحدة العرب واستقلالهم. [30]

سليمان الباروني (1359/1290هـ ، 1940/1873)ولد في جبل نفوسة بليبيا وتوفي في الهند درس في مسقط رأسه وفي الزيتونة وفي الأزهر، يعد من المقاومين للاحتلال الإيطالي لليبيا وكان لجهاده صدى واسعا في تونس والجزائر. [31]

عبد العزيز جاويش (1929/1876) ولد بالأسكندرية بمصر من أصول تونسية درس بالأزهر ،تأثر بالحركة الاصلاحية التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، من المؤمنين بفكرة الجامعة الاسلامية، كانت له نشاطات علمية وسياسية حيث ساهم في اسطنبول في نشاطات الوطنيين المصريين والمغاربيين أثناء الحرب العالمية الأولى. [32]

أحمد الشريف بن محمد السنوسي مجاهد وزعيم ولد 1873 بواحة الجغبوب بليبيا وتوفي بالمدينة المنورة في 1933/03/10 قاد الجهاد الليبي ضد الإيطاليين في شرق ليبيا، كما قاوم الغزو الأوروبي في تشاد والسودان ومصر، وساهم في نشر الاسلام في إفريقيا. [33]

مفيد الزيدي، **موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص 23. [34]

محمد بلقاسم ، المرجع السابق، ص 80. [35]

عروسية التركي، **الحركة اليوسفية في تونس 1955/1956**، مكتبة علاء الدين ، صفاقس، تونس، 2011، ص 139/138. [36]

أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 220. [37]

عروسية التركي، المرجع السابق، ص 139. [38]

محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 83. [39]

محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 94. [40]

نفسه، ص ص 109،111. [41]

يوسف مناصرية، **الشيخ صالح الشريف المفكر الاسلامي 1859/1919**، حولية المؤرخ، العدد01، إتحاد المؤرخين الجزائريين، 2002، ص 235. [42]

التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 70. [43]

يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 235. [44]

محمد بلقاسم، الرجع السابق، ص 59. [45]

بيتر هاين، **قومي من شمال إفريقيا في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى**، تقديم محمد بلقاسم، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 01، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1986، ص 173. [46]

العجيلي، نفس المرجع، ص 70. [47]

[48] مناصرية، المرجع السابق، ص 235.

[49] العجيلي، المرجع السابق، ص 70.

[50] بيتر هاين، المرجع السابق، ص 174.

[51] مناصرية، نفس المرجع، ص 240.

[52] محمد بلقاسم، نفس المرجع ،ص 73.

[53] نفسه، ص 79.

[54] محمد بلقاسم، نفس المرجع، ص 85.

[55] نفسه ،ص 90/89.

[56] مناصرية، المرجع السابق، ص 242.

[57] بيتر هاين، المرجع السابق، ص 176.

[58] نفسه، ص 175/174.

[59] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 826.

[60] بيتر هاين، نفس المرجع، ص 175.

[61] التليلي العجيلي، مرجع سابق، ص 217.

[62] بوشو وليد، **التجنيد الإجباري ومشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى**، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، العدد01، ربيع الثاني 1440هـ جانفي 2019،ص 83/82.

[63] العجيلي، المرجع السابق، ص 217.

[64] بوشو وليد، المرجع السابق، ص 83.

[65] العجيلي، المرجع السابق، ص 217.

[66] محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 100.

[67] صادق سلام ،المرجع السابق، ص 211/210.

[68] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 221.

[69] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج01**، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 107.

[70] محمد بلقاسم ، المرجع السابق، ص 117.

[71] سعد الله، المرجع السابق، ص 108.

[72] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 194.

[73] لتفاصيل أكثر عد إلى أبو القاسم سعد ، المرجع السابق، ص 108.

سعد الله، نفس المرجع، ص 109.

محمد بلقاسم ، المرجع السابق، ص 138.

سعد الله، نفس المرجع، ص 109.

نفسه، ص 110.

محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 90.

محمد بلقاسم، نفس المرجع، ص 150.

نفسه، ص 214.